هل كان للملك غازي علم سابق بانقلاب بكر صدقي ؟

الملك غازي

بكر صدقي

نجدة فتحي صفوة

اذا كانت بريطانيا قد اخذت بانقلاب بكر صدقي علي حين غرة وفوجئت به مفاجاة تامة فان معرفة الملك غازي بالانقلاب مسبقا يبقى امرا يشوبه بعض الغموض ولا نجد له دليلا قاطعا لان المصادر المختلفة ليست واضحة بنفس الدرجة في هذه الناحية فمنها ما ينفي علمه السابق بالانقلاب نفيا قاطعا ومنها ما يؤكده ومنها ما يستنتج ذلك استنتاجا . اما اسباب هذا الاستنتاج فواضحة معروفة اذ لم يكن سرا في تلك الفترة ان الملك غازي شخصيا لم يكن مرتاحا الى رئيس وزرائه ياسين الهاشمي بسبب ما فرضه على تصرفاته من قيود وعلى حاشيته من رقابة حفاظا على سمعة العرش خاصة بعد حادث زواج الاميرة عزة . ولذلك كان من الطبيعي ان يستنتج الناس ان القائمين بالانقلاب قد لوحوا للملك بنيتهم لعملهم بانه سيرتاح للتخلص من ياسين وهذا محض استنتاج قد يصبح وقد يكون غير صحيح لكن ليس هنالك دليل ينفي احد الاحتمالين او يؤيده .

وروى طه الهاشمي (شقيق ياسين الهاشمي) ورئيس اركان الجيش وقت الانقلاب وكان غائبا عن العراق عند وقوعه في مذكراته ما سمعه من صفوت العوا عن الموضوع اذ كتب في مذكراته ليوم ٢٢ تشرين الاول ١٩٣٧ أي بعد وقوع الانقلاب بسنة واحدة تقريبا . ماياتي:

..وقول صفوت العوا انه دخل على الملك بعد الانقلاب فرآه منبسطا ومنشرحا يتبجح بالانقلاب وهو الذي دبر المؤامرة مع الجيش فيزعم العوا بانه قال للملك انك لاتعلم عن الامر شيئا فلماذا تلقي نفسك في ورطة وواجبك ان تبقى على الحياد . ان استعمال طه الهاشمي كلمة (يزعم) يدل على انه كان يخامره بعض الشك في هذه الرواية في حين ان صفوة باشا العوا كان من رجالات الملك فيصل الاول في سورية ثم قدم الى العراق معه فاصبح ناظرا للخزينة الملكية الخاصة وكان قبل ذلك مدرسا ورائدا ل(الامير)غازي الذي عرفه طفلا ولذلك فان علاقته بالملك غازي وابيه كانت تسمح له بمخاطبته بهذه اللهجة وبحرية اكثر من غيره ومن المحتمل ان تكون هذه الرواية صحيحة . وقال السيد عبد الرزاق الحسني في تاريخ الوزارات العراقية : يرى بعض الساسة ان جلالة الملك غازي عالما بحركة الجيش ولكن السيد رستم حيدر رئيس الديوان الملكي اكد لنا ان الملك كان مضطربا لاياكل ولايشرب حتى كلم جلالته الفريق بكر صدقي من مخفر الشرطة المغيسيل مؤكدا الى ان الجيش سيبقي له على ولائه لصاحب التاج اما السيد حكمت سليمان فقد قال لنا ان الملك غازي لم يكن مسبوقا بالحركة ولكنه قابلها بالارتياح لان الوزارة الهاشمية الثانية كانت قد فرضت رقابة شديدة على تصرفاته الشخصية ..

وروى الدكتور سندرسن طبيب العائلة المالكة في مذكراته انه استدعى الى قصر الزهور في الساعة العاشرة في صباح يوم الانقلاب ولم يكن الملك قد ذهب الى مكتبه في البلاط في ذلك اليوم وقال ..فوجدته يذرع الشرفة في حالة من الهياج شديد وكان متمنطقا بحزام ذي قراب فيه مسدس ظاهر للعيان ولم يسبق لي ان رأيته يحمل سلاحا داخل القصر الا مرة واحدة ..

ويضيف سندرسن انه فحص قلب الملك بالسماعة فوجده يخفق بسرعة اكثر من الطبيعية ثم يقول :لم يخامرني الشك على انه لديه علم سابق بالحادث وان الخطر الوحيد عليه كان يمكن في احتمال ونوع اجراء مادي وكانت زوجتي قد صحبتني وكانت تشرب القهوة مع الملكة عالية والاميرات الاخريات وحينها انضممت بعد ذلك بقليل الى جناح السيدات ..

وبعد ذلك شعرت شعورا اكيدا بان الملكة وهي موضع ثقة غازي في اسراره من كل نوع بما فيها غرامياته التي تغتفرها بنفس كريمة كانت على علم بالمؤامرة وهي لم تظهر عواطفها كثيرا ولكنني اذ كنت على معرفة تامة بمزاجها فقد كان لي من الواضح انها كانت متخوفة . هذا ما استنتجه الدكتور سندرسن من تصرفات الملك غازي والملكة عالية استنتاجا ويبدو ان هذا الراي هو الذي توصل اليه بالحدس والتخمين ولكنه لم يذكر هل بدر من احدهما باستثناء حالة الهياج التي شهدها قول او فعل يؤيد هذا الانطباع ..

وكان من الاسباب الرئيسية التي ادت الى انتشار الاشاعات عن ضلوع الملك غازي في الانقلاب عبارة وردت في المنشورات التي القتها الطائرات في صبيحة يوم الانقلاب فقد جاء في ذلك المنشور الذي كان يحمل توقيع الفريق بكر صدقي مایاتي :

طلب الى صاحب الجلالة الملك المعظم اقالة الوزارة القائمة وتاليف وزارة من ابناء الرافدين المخلصين برئاسة السيد حكمت سليمان ..

وقد اختلف الناس بقراءة عبارة طلب الى فمنهم من قرأها مبنية للمجهول بضم الطاء وكسر اللام .. ومنهم من قرأها فعلاً ماضياً مع تشديد الياء في :الي وهذه الاخيرة تدل على ان الملك غازي هو الذي طلب من بكر صدقي ان يقيل الوزارة وان لم يكن هذا هو المعنى المقصود ان القراءة الاولى هي الصحيحة وهو لبس كان يمكن تحاشيه في مثل هذه الوثيقة الخطيرة وقد ادى فعلا الى الكثير من سوء الفهم الذي لم يكن له من المبرر .. والان نعود الى الوثائق البريطانية لنرى ماذا كتب السفير البريطاني الى حكومته عن الموضوع وقد كان في وضع يستطيع معه ان يحصل على الكثير من المعلومات بسبب اتصالاته الواسعة بالمسؤولين والساسة في ذلك العهد.. جاء في البرقية الاولى التي طيرها السفير الى وزارة الخارجية في لندن صباح يوم الانقلاب ان الملك فيصل بطلبه في الساعة العاشرة من صباح ذلك اليوم لبيان الموقف وان راى الملك ان المقاومة ستكون عقيمة وان استقالة الوزارة التي كانت بين يديه يجب قبولها .

ولما غادر ياسين الهاشمي بغداد الى دمشق بطلب من حكومة الانقلاب زاره القنصل البريطاني في سوريا ثم ابرق الى حكومته قائلا :

قمت كبادرة مجاملة بزيارة الهاشمي على اثر وصوله الى دمشق بعد ظهر اليوم وكان يرافقه لدى هروبه من العراق رشيد عالي الكيلاني وجميل المدفعي .. وبدا ياسين الهاشمي متاثرا لاغتيال جعفر العسكري الذي كان من المفروض ان ياتي معه وقد اتهم الملك بالتحريض على الانقلاب وبعد الانقلاب ببضعة ايام ارسل السفير البريطاني الى بغداد تقريرا تفصيليا الى وزارة الخارجية سرد فيه احداث الانقلاب وجاء في الفقرة ٤ منه :

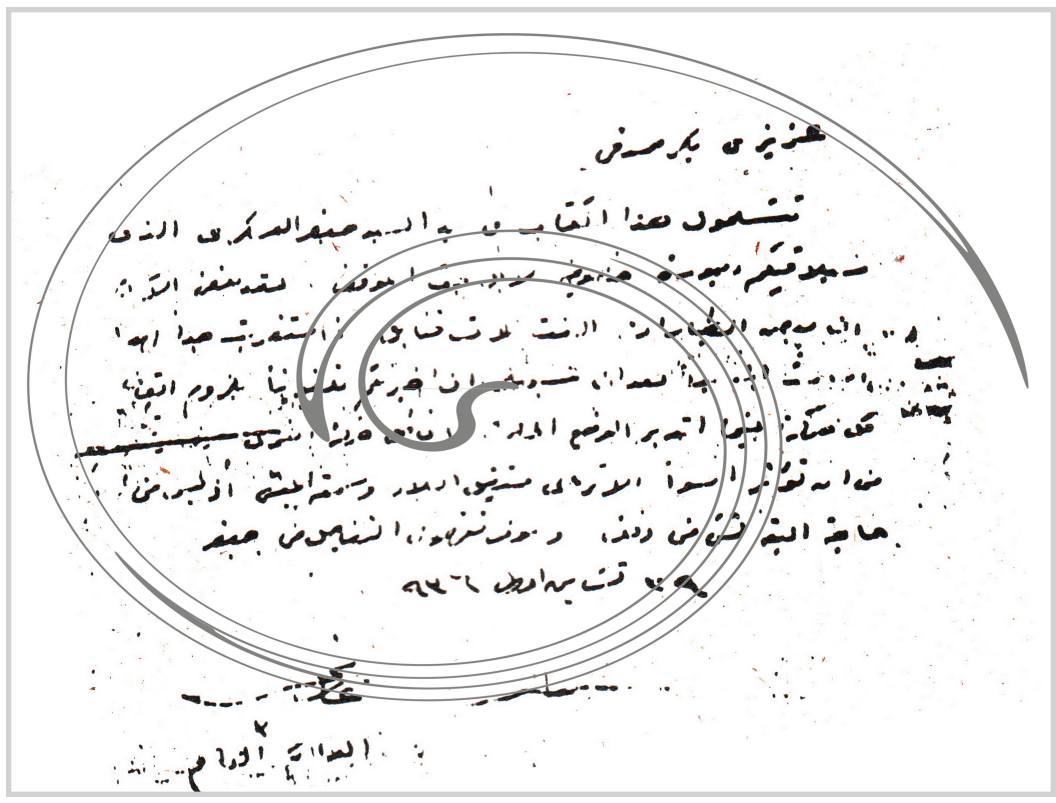

رسالة الملك غازي الى بكر صدقي في ٢٩ /١٠ /١٩٣٦

في حوالي الساعة العاشرة الا ربعا من صباح يوم الانقلاب وصلتني رسالة من الملك غازي يطلب فيها مني ان اذهب اليه لرؤيته ففعلت ذلك بدون اضاعة للوقت . وجدت جلالته في حالة عصبية شديدة فقال لي انه تلقى انباء سيئة فأجابه بفظاظة وكان يفترض انني اطلعت على المنشور الذي القي من الطائرات في ساعة مبكرة من صباح ذلك اليوم . ..

واضاف السفير ..

سالته فيها اذا قد قال او فعل شيئا يؤيد الاعتقاد بان الحركة تحظى بتأييده فاكد لي انه لم يفعل . وسالت فيما اذا كانت سلطته من القوة بدرجة تكفي لقمع الحركة اذا سمح بان يعرف انه معارض لها قال انه لايظن ذلك .

وفي الفقرة ١٢ من التقرير نفسه قال السفير : قضيت معظم ما تبقى من اليوم —يريد اليوم التالي للانقلاب- مع نوري السعيد الذي كان قد لجا الى السفارة وكان في حالة عصبية جدا ..

ولااريد ان ابث السام في كل ماقاله سوى انه كان يلمح في الاعراب عن اعتقاده بان الملك غازي كان على علم بحركة بكر صدقي وقد قال ذلك كان اعتقاد ياسين ايضا . لقد راقبت الملك غازي عن كثب حينما كان هو ووزراءه يبحثون الامر صباحا وانني مضطر الى القول بانني انا ايضا حصل لدي الانطباع ان الامر لم يات مفاجاة لجلالته ..

ثم قال في الفقرة ١٣

وفي اليوم نفسه قابلت الملك غازي مرة اخرى فوجدت جلالته اشبه بالديك المنفش وفيما يتعلق بذلك اننا سبق ان نظرنا بصورة مبدئية في امكانية البدائل الذين يمكن ان يحلوا محل الملك غازي . اى جانب هذه الوثائق كلها وهي لاتعطي دليلا قاطعا توجد وثيقة اخرى قد تكون حاسمة وقد لاتكون ولكنها في غاية الاهمية على أي حال . وهي رسالة خطية من السفير في بغداد الى المستر جورج رندل مدير الدائرة الشرقية في وزارة الخارجية بعد الانقلاب بشهر واحد تقريبا وهذه ترجمتها الحرفية ..

عزيزي جورج ..

اكتشفت انني مع الاسف لم ارسل اليك نتفة من المعلومات التي حصلت عليها من ادموندز مستشار وزارة الداخلية قبل مدة من الزمن تذكر اننا هنا وادموندز كذلك كنا نظن ان الملك غازي لم يكن يجهل تماما المؤامرة التي ادت الى سقوط ياسين . واخيرا تقدم ادموندز فوجه الى حكمت سليمان سؤالا مباشرا عما اذا كان الملك غازي مشتركا فيها ام لا قال حكمت :لا ان الملك فوجيء كاي شخص اخر وانه كان خائفا جدا المخلص آكلارك كير .

ان هذه الوثائق والمذكرات لاتكفي لاصدار حكم قاطع بشان علم الملك غازي بالانقلاب قبل وقوعه اذ ان ما صرح به نوري السعيد وياسين الهاشمي لممثلي بريطانية في بغداد ودمشق لايتعدى التخمينات التي صدرت بعد الانقلاب مباشرة في ساعة انزعاج وقبل ان يتسنى لاي منهما الوقت الكافي لاصدار حكم هادىء بعيدا عن العاطفة .

ويبقى تصريح حكمت سليمان الاخير للمستر ادموندز ولاشك ان صلة حكمت سليمان بادموندز كانت طيبة وليس هنالك سبب ظاهر يحمله على القول بان الملك فوجيء بالانقلاب بالوقت الذي كان على علم سابق ..خاصة وان حكمت سليمان كان رجلا معروفا بالصراحة والاستقامة ولايميل الى الكذب وطلقا وذلك بما شهد به كل من عرفوه شخصياً وهو لم يتصف بما اتصف به نوري السعيد مثلا من حيلة ومراوغة وقد صدر عنه هذا الجواب الى ادموندز بعد الانقلاب باكثر من شهر وبعد ان استقرت الامور الى حد كبير ..

وقد ذهب الدكتور غروبا وزير المانيا المفوض في بغداد الذي عاصر هذه الاحداث وكانت له صلة بالكثير من الاوساط العراقية الى هذا الراي ايضا في مذكراته التي نشرت في سنة ١٩٦٧ اذ قال ..

وقد راجت بعض الاشاعات التي تقول بان الملك غازي قد تعاون مع قادة الانقلاب وكانت هذه الاشاعات تستند الى الفتور الذي حصل بين الملك غازي وياسين الهاشمي بعد زواج اخت الملك ووضع الملك تحت الرقابة الصارمة على ان هذه الاشاعات ربما تكون غير صحيحة لان زعماء الانقلاب لم يروا من الضروري اخبار الملك بخطتهم ويبدوا ا هذا هو الراي الارجح الا اذا ظهرت ادلة اخرى قاطعة في المستقبل بخلاف ذلك يؤيد هذا الراي ايضا ماراواه المستر ادموندز والسيد عبد الرزاق الحسني على لسان حكمت سليمان ..

واذا كانت تلك الاخبار والروايات التي استندت اليها غير صحيحة كلها فما آفة الاخبار في هذه الحالة الا رواتها.

من غرائب المخاطبات الرسمية !

أمين عاصمة يعاقب البغال بقطع العلف عنها مدة ثلاثة أيام

منطقة باب المعظم في الثلاثينيات

ستار جاسم

لكلّ زمن فرشته الْخطابية وانماطه الكتابية في التعبير عما يجيش في الصدور او في تمشية المعاملات الرسمية وغير الرسمية وفيما يتعلق في شتى الانشطة الانسانية الاخرى، وما تتطلبه من امور الحياة الكثيرة. وقد تكون من وسائل التعبير بالجمل المطولة واخرى بالجمل القصيرة الى حد وصلت فيه الى مايسمى بالتوقيعات توخيا للايجاز والافهام، مثل جواب احد الخلفاء العباسيين لورود كتاب تهديد من ملك الروم وكان كتابا مطولا حيث رد عليه بما كتب له صوابا.

(الجواب ما تراه عيانا) او سلم تسلم او الكلام كلام (بفتح الكاف وكسره) وغَير هذه التعابير التي تمثل غاية الايجاز والاعجاز وهي مثبوتة في كتب التراث. وفي التعابير الكتابية والرسمية، وفي مختلف العصور الكثير من الطرائف واللطائف ما ينتزع من القارئ ابتسامته او ضحكته لاسيما حين تفرض المقارنة بين تلك الاساليب او التي تقارن بكتاباتنا الحالية والمتاثرة لدورها بالنمط الكتابي الغربي.

ولعل تعليق قائممقام احد الاقضية عند مخاطبته لمدير المال التابع له بقوله عند ورود الكتاب خير شاهد لنا في هذا المجال:

- يامدير المال ما هذا الخبر؟

وكان مدير المال هذا لو ذعيا وعلى معرفة بالشعر اذ رد على الهامش قائلا:

- سيدي لا اعلم اسألوا حمزة الطبر.

وقد عثرنا على نادرة تراثية اخرى اثناء قراءتنا لكتاب لا علاقة له بما نحن فيه وعنوانه (هكذا عرفت البكر وصدام لمؤلفه الدكتور فخري قدوري محافظ البنك المركزي العراقي الاسبق). والمنشور سنة ٢٠٠٦ الصادر عن دار الحكمة في لندن.

ان اغرب هامش خطابي كتبه احد امناء العاصمة في بغداد وذلك سنة ١٩٤٦ يقول الهامش بدون اي تعليق منا او تصحيح:

- اولا الحمد لله على سلامة السايس جبار لعور.

ثانيا يغرم كل من البغل والزمال بقطع العلف عنهما لمدة ثلاثة ايام حتى يتأدبوا من الان فصاعدا ويكونا عبرة لغيرهما من الحيوانات وليفهم كل من تسوّل له نفسه بالخربطة ان الحكومة ساهره وفاكه عينه علز غيره والجبيرة وليتصورون الدنيه عفتره وكلمن بكيفه.

ثالثا- يمنع الشقة بين الحيوانات بالشغل واثناء الراحة منعا باتا بامري وتكتب قطعة بذلك في الاسطبل.

رابعا- يربط الطبيب البيطري بين الزمال والبغل حتى اشعار اخر حتى يتاكد الطبيب وهو الاب المسؤول عن ابنائه وان البغل والحمار قد صفت قلوبهم وما بقي بينهما عداوة ما يؤدي للكاتل والمكتول .

خامسا: على مدير الادارة بامانة العاصمة ان يبرق الى معالي وزير الداخلية ان يفاتح الجهات المسؤول لنقلي فورا الى اي وظيفة ما عدا امانة العاصمة لان ما عندي خلك الزمايل والابغال، احنه ويه الاوادم هلة الهلة عادويه الحواوين.

توقيع/ امين العاصمة ١٩٤٦/ ٢٦/٩

ولم يات هذا الهامش العجيب الغريب اعتباطا كما قد يتبادر الى ذهن القارئ الكريم لوهلة اولية. وانما الدافع المثير لورود كتاب من دائرة البيطرة تحت الرقم ب/١٥٢٣ وبتاريخ ١٩٤٦/ ٢٦/٩ الموجه لسعادة امين العاصمة المحترم، والذي جاء في متنه:

الموضوع التقرير اليومي للحيوانات التابعة لامانة العاصمة التي تستخدم في نقل الازبال والاوساخ والانقاض وجر عربات القير.. الخ.

مساء البارحة وبعد غروب الشمس بقليل قام البغل الاسود رقم ٧٣ بممازحة الحمار الابيض رقم ٢٠١ المربوط بجانبه في الاسطبل الواقع بالنزيزة مال شيخ عمر وقد ادى هذا المزاح على غير عادتهم كل يوم الى العراك امام زملائهم واسفر مع الاسف الشديد عن فجخ الحمار بكوكة راسه نتيجة ضربة زوج ارداف قوية ومتعاقبة من البغل مما دفع بزميله الحمار ان يخرج عن جادة الصواب ويملخ البغل بعضة قوية شعلت وصلة من كتفه الايمن. وعند قيام النوبجي (السايس رقم ١١ جبار لعور) بمفازعتهم امام انظار بقية الحيوانات اتته ضربة اتياه غير مقصودة على بطنه وانطرح على الفشقي يتلوى من شدة الالم وقد ادخل المصابان في المستشفى البيطري بموجب الفحص الطبي ٩٣ بتاريخ ٢٥/٩/١٩٤٦ اما السايس فقد قام بعدها سلامات. تقدم للتفضل بالاطلاع بما يلزم واعلامنا والامر منوط لسعادتكم.

التوقيع/ الطبيب البيطري ٢٦/٩/١٩٤٦

عزيزي القارئ اذ ورد مثل هذا الكتاب واسلوبية فما انت فاعل؟!

من ذاكرة بغداد.. البيت البغدادي في أوائل القرن العشرين

إنَ نظام الحياةْ في البيوت البغدادية مرتبط ارتباطاً بالحياة العامة لدى البغداديين وكان بناء البيوت في ذلك الوقت ذا طراز خاص اذ كانت الجدران تبنى بالطين وهي عريفة وتحشى بالشكنك وهي الحجارة الصغيرة وكانت السقوف من الحصران والقصب والبوادي، وكان البناء بالجص موجودا في بناء بيوت الاغنياء والموسرين كذلك كانوا يبنون الاسس بالرماد والنورة المخلوطة ببعضها بحيث يؤدي ذلك مهمة السمنت الذي هو عماد مواد البناء اليوم.

وكانت بيوت المترفين وهي تتكون من طابقين وفيها الطرامي (جمع طرمة) وتسمى ليوانات ولواوين ويقال لها ايضا طرار وفي بعض البيوت مجاز وهو مدخل طويل. وكانت الحمامات تقير بالقير الاسود.. وفي البيوت الكبيرة كان يعمل لها سراديب التي يأوى اليها الناس في ايام الصيف نهارا للتبرد باجوائها والسراديب بناء منخفض اسفل الدار ينزل اليه بعدة درجات اي سلالم.. وفي بعض البيوت كانوا يتخذون الزنبور داخل السرداب وهي حفرة على هيئة متوازي المستطيلات يكون له منفذ من الارض الى سطح الدار ويغطى الزنبور بغطاء مشبك من الخشب يقال له (قيم) وكانوا يتخذون ذلك لتبريد الطعام واللحوم.. والزنبور كلمة تركية اصلها (زمين بوري) اي منفذ الارض: اما البادكيرات وكانت موجودة بكثرة في السراديب.. والكلمة اصلها فارسية (بادكير) بمعنى جالب الهواء.

وكان نظام بناء البيوت البغدادية على هذه الشاكلة من اسباب ومصادر دمار المدينة وخرابها.. وخاصة في اوقات الفيضانات حيث تاتي المياه الى الجدران المبنية بالطين فتهدمها على رؤوس اصحابها.

وكان الناس في فصل الصيف ينامون على السطوح بعدما ترش بالماء لغرض تبريدها ثم تنصب فواصل من القماش يدعى (كلة) لحجب الرؤية عن الاخرين وفي معظم البيوت آبار يستقى منها الماء بكرات تقام على مداخلها.

والقسم الآخر يحصل على الماء عن طريق السقا الذي يملأ حباب الماء لقاء اجر يتسلمه وكان يجلب الماء من النهر.. وكان لابد لكل بيت ان يقتني عددا من الجرار (جمع جرة) والتنك والحبانات (جمع حبانة) وذلك لخزن الماء فيها.

وقد ذكرت تلك الاواني في الامثال البغدادية حيث قال:

"ماكو ببيت الحرة غير الكوز والجرة"

ومن الادوات اليومية الاخرى الموجودة في البيت العراقي هي "الجاون" ورفيقته "الميجنة" ويستعمل في صنع الكبة والمدكوكة وهي حلوى تمر المخلوط بالجوز، ويستعمل ايضا في تهبيش التمن وفي حاجات كثيرة اخرى.

كذلك يوجد في البيوت "هاون" لدق اللحم وغيره من مواد الطبخ.. وهناك "الرحى" لطحن الحبوب كذلك ورد ذكرها في الامثال:

"الله يجيب الحبة على عين الرحى" كذلك توجد في البيوت الكوارة وقد ورد ذكرها في الامثال ايضا: "بارة بارة تمتلي الكوارة" وهي تصنع من الطين غير المفخور يضعون فيها الحبوب.

وفي معظم البيوت البغدادية (تنور للخبز) له هيئة خاصة ويصنع عادة من الطين بمواصفات وقياسات خاصة يستعمل لصناعة الخبز.

وكانت معايير الوزن عندهم (الاوكية) اي الاوقية (والحكة) اي الاقة (والرطل) وهي ثلاث اواق و(الجارك) وهو أقة ونصف اقة و (الطغار) والوزنة والربع، والدرهم، والمثقال، ولا يعرفون الغرام ولا الكيلو غرام.

وكانت النقود عندهم في اوائل القرن نقود عثمانية ومنها الليرة الذهبية والمجيدي الفضي، واليشلغ والقرش والبادة ثم صارت العملة بعد دخول الانكليز العراق تعتمد على الربية والقران والبيزة والقرش والفلسين والقمري.. وكانت الاضاءة الليلية تعتمد على الفوانيس واللمبات والاويزات.. وفي المساجد كانوا يستعملون (السرج) جمع سراج وهو يعتمد على فتيل ووعاء من الزيت وكان يعلق على المآذن وفي داخل الحرم..

اضافة الى استعمال الشموع الكبيرة اما الشموع الصغيرة فكانت تضيء صواني يوم زكريا في شعبان.. ولما حلت الكهرباء في بغداد صارت هي سيدة الاضواء والمصابيح واصبحت الشموع تستخدم في المناسبات الدينية والافراح كرموز فلكلورية وتقاليد اجتماعية.